قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الاولى

خيرية قاسمية

تعود فكرة هذه الدراسة الى محاولة البحث عن وثيقة تشير اليها عدة مصادر عربية باسم تقرير لجنة كامبل بانرمان(١) (نسبة الى السير كامبل بانرمان رئيس وزراء بريطانية في عهد حكومة حزب الاحرار ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧) في معرض الحديث عن الارتباط القديم بين مصالح الاستعمار والصهيونية . وتتلخص فكرتها في ان خبراء الاستعمار في بريطانية والدول الاستعمارية الكبرى تدارسوا الخطر المهدد للاستعمار في المنطقة العربية وأوصوا للتغلب عليه بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الاسيوي ، وذلك باقامة حاجز بشري غريب في منطقة الجسر البري الذي يربط آسية وافريقية بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة للشعب العربي ساكن تلك المنطقة . والتقرير بحد ذاته خطير ، ولكن الذين يشيرون اليه من الكتاب العرب لا يفصحون بوضوح عن مكان وجوده وكيفية امكان الاطلاع عليه ، كذلك فان المراجع الاجنبية عن تاريخ القضية الفلسطينية او الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق العربي لا تشير الى هذا التقرير من بعيد او قريب . وعلى هذا فمن غير الممكن حتى هذه اللحظة الحكم بوجود التقرير او عدمه بشكل حازم وان كنا نجزم بأن ليس بين الباحثين العرب الذين كتبوا في الموضوع من اطلع على التقرير بنفسه . على ان دراسة تاريخية مدققة عن اهم القضايا السياسية المتعلقة بمنطقة الشرق العربي والوثائق الخاصة بها في عهد وزارة بانرمان لم تقدني الا الى مشكلة حدود سيناء التي اثيرت عام ١٩٠٦ مع الدولة العثمانية ، حين سعت الاخيرة الى الحاقها بالولايات العثمانية بآسية بعد محاولات متكررة لاستيطان يهودي في المنطقة التي تقع في الجوار القريب من فلسطين على حدود مصر . وهددت هذه المشكلة الفكرة السائدة في الاوساط البريطانية بأن الصحراء حد ملائم لمصر والقناة، اذ ان فلسطين قد تكون قاعدة لهجوم تركي الماني نحو مصر . وعرضت هذه القضايا على لجنة الدفاع عن الامبراطورية التي كانت جهازا استشاريا بريطانيا يضم اعضاء من الوزارة وخبراء في الجيش والبحرية ويتولى رئاستها ــ حسب تنظيمها الداخلي ــ رئيس الوزراء(٢) الذي كان بانرمان في اثناء هذه الازمة . ومع ان نتائج ابحاث اللجنة لم تجزم باحتمال حدوث خطر في ذلك الوقت لظروف خاصة تتعلق بأوضاع الدولة العثمانية الا انها لم تنفه ، على انه يمكن القول ان تطورات السياسة البريطانية في الشرق قد أخذت على الاقل منذ ذلك الوقت تتجه في منحى ضرورة ايجاد دولة حاجزة بين مصر وبين دولة معادية في الشرق . ويظهر ان الصهيونية قد قدمت هذا الحل !

وهذا ما وجه البحث الذي اقوم به باتجاه تتبع تاريخي لقضية التقليد الطويل الذي يربط